سَكاكِرُ جَدّي

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الكتاب: سَكاكِرُ جدي

جنسه: مجموعة قصصية للفتيان

المؤلف: هيثم بهنام بردى

لوحة الغلاف: الفنان العراقي عمر طلال حسن

بورتريه الغلاف الخلفي للفنان العراقي شاهين الظاهر

الطبعة: الأولى ٢٠١٨

978-9933-581-91-6 : ISBN

تصميم الغلاف والاخراج الفني: دار أمل الجديدة

سورية - دمشق

جوال ٠٠٩٦٣٩٣٢٤٧٢٠٩٦ - ٠٠٩٦٣٩٣٢٠٠٢١٢٦-

هاتف: ٠٠٩٦٣١١٢٧٢٤٢٩٢

E-mail:ammarkordia@yahoo.com

حقوق الطبع محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله، على أي نحو، أو بأي طريقة سواء كانت (الكترونية) أو (ميكانيكية) أو *بالتصوير*، أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك ، إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر.

All rights reserved, Not part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, Electronics, mechanical photocopying, recording of otherwise, without prior permission in writing of the publisher

سَكاكِرُ جَدّي

مجموعة قصصية للفتيان

هيثم بهنام بردى

تقديم

هيثم بردى وأدب الفتيان
البحث عن الذات في إقليم إبداعي جديد

الدكتور خليل شكري هياس*

لا شك أن تجسيد الذات والبحث عن كينونتها في النص الإبداعي أياً كان شكله وجنسه، ظل ميداناً رحباً لتغللات الذوات المؤلِفة في عالم الإبداع الرحب، بوصفه أرضاً خصباً لبذر تجليات الروح على نحو يخترق المألوف والسائد ليعانق الجوهر ويستطعم الحقيقة الممزوجة بروح الفن. إنها تجليات ينهل من بئر الإنسانية التي تحمل في طياته معطيات الإحساس والشعور والعواطف والرؤى، والحلم والخيال، والخوارق، والأساطير، والعجائب، وهي تدفقات للصور المتخيلة النافذة في الحلم والواقع بعمق الدلالة، كي تجعل من تذبذبات الرسالة/ النص، فضاء رحباً لاحتواء الذات ورسم ملامحها وعوالمها الباطنة منها والظاهرة، التي تتمظهر في طبقات النص، ليتحول معه النص إلى مرآة عاكسة للذات وهي تبحث عن نفسها والعالم أولاً، وتنقل هذه الذات وهذا العالم إلى القارئ ثانياً.

وهو في زاوية رؤية أخرى بحث عن هوية إبداعية تتشكل عبر الغوص في هذا العالم بحثاً عن انتماء أصيل لا شكلي، تترك معه الذات المبدعة بصماتها الخاصة التي تعكس نوعاً من الفرادة الإبداعية على صعيد المعالجة التشكيلية للنص، وعلى صعيد الجوهر الثيمي عبر طرح جملة من الأسئلة، فكيف تتمظهر أسئلة الهوية في النص؟ وكيف يمكن تصنيفها عن غيرها من أسئلة النص الأخرى؟ هذه هي ديدن الإختلاف بين هوية وهوية إبداعية.

هيثم بهنام بردى واحدة من الذوات الإبداعية التي استطاعت أن تشق لها طريقاً في حقل الإبداع السردي – ولا ننسى طبعاً جهودها في البيلوغرافيا الراصدة لبعض الحقول الإبداعية- إذ تمكَّن وعلى نحو لا يقبل الشك من تشكيل أكثر من هوية إبداعية سردية، فهي اسم معروف في القصة القصيرة، المكلل بأربع مجاميع قصصية هي: (الوصية، تليباثي، نهر ذو لحية بيضاء، أرض من عسل)، وأربع مجاميع للقصة القصيرة جداً هي (حب مع وقف التنفيذ، الليلة الثانية بعد الألف، عزلة أنكيدو، التماهي)، وفي الرواية بعد أن رفدها بثلاث روايات هي: (مار بهنام وأخته سارة، وقديسو حدياب، وأحفاد أورشنابي) وفي الرواية القصيرة التي توجت بالروايات الأتية: (الغرفة٢١٣، الأجساد وظلالها، الطيف، وأخيرة بعنوان "أَبرَاتُ" قيد النشر)، وفي الأدب المكتوب للفتيان، وله في هذا المجال: (الحكيمة والصياد/ مسرحية، العشبة/ مسرحية، مع الجاحظ على بساط الريح/ سيرة قصصية للفتيان، وقناديل جدي) والأخيرة أشرت في المقدمة التي كتبتها

عنها بانتمائها إلى القصة السيرذاتية المكتوبة للفتيان، وتأتي المجموعة الأخيرة التي أحاول كتابة مقدمتها الآن لتعزز هذا التوجه السيرذاتي في كتابة قصص الفتيان، إذ تجعلها الذات المبدعة جزءاً مكملاً لما جاء في قناديل جدي، في محاولة منها كما أشرت آنفاً إلى رسم هوية جديدة في مجال الكتابة السردية، تضاف إلى هوياتها المجّسدة للكتابة السردية في القصة القصيرة، والقصة القصيرة جداً، وفي الرواية، والرواية القصيرة، ولعل أهم بصمة تحاول أن تتركها الذات المبدعة هنا في حقل أدب الفتيان هي جرها إلى عالم السيرة بشقيه الغيري ممثلاً بـ (مع الجاحظ على بساط الريح) والذاتي ممثلاً بـ (قناديل جدي) و(سكاكر جدي)، وهذا عمل تجريدي مهم تنحته الذات لتكون هويتها في هذا المجال، لأن مثل هذا الفعل يعني الدخول في عالم المزاوجة بين فنين قوليين هما قصص الفتيان، والسيرة الأدبية، وهذا يعني فيما يعنيه نوع من التلاقح بين تقانات كل من الفنيين، ومن ثمَّ الخروج بنوعين سرديين جديدين هما: القصة السيرغيرية للفتيان، والقصة السيرذاتية للفتيان، ولكل منهما مجاله الإشتغالي في الحقل الإبداعي.

إن القارئ لهذه المجموعة القصصية الجديدة لهيثم بهنام بردى يجد نفسه فعلا أمام امتداد قصصي سيرذاتي للفتيان على الصعيد المكونات والرؤى، فالشخصيات الرئيسة هي هي: (الجد وصديقه وهيثم وأخوته وأصدقاؤه)، وطريقة التوظيف والمعالجة والتشكيل، وكذلك البناء القصصي القائم على التضمين،

وتوظيف التراث الشعبي، والحكاية، ولعل أهم ما يميز المجموعتين أيضاً تبنيهما للبناء الإطاري القائم على قصة مركزية تشكل إطاراً للبناء القصصي، وقصة فرعية تولد من رحم القصة الإطارية وسميت بالإطارية لأن كامل قصص الكتاب تندرج في إطارها وتأتي على لسان البطل السارد الذاتي (هيثم) الكائن القابع في النصوص والمشارك بقوة في الأحداث، والحاضر في لوحة الغلاف بوصفه مؤلفاً لهذه النصوص، محدثاً بذلك تطابقاً بين أنا المؤلف، وبين أنا السارد، وبين أنا الشخصية الرئيسة، ومحققاً لشرط جوهري في النص السيرذاتي الذي لا يمكن معه إدراج أي نص في حقل السيرة الذاتية من دونه.

فكما أن القصص في (قناديل جدي) تبنى وتنسج من تداخل ثلاث حكايات هي القصة الاطارية الأم التي تشكل سيرة المؤلف الذاتية وهو في مرحلة المراهقة ويرافقه شقيقه، وجده، وصديق جده، وحكايات ضمنية هي ثلاث حكايات، النجار والرجل النّطاط وأبو عقلين وعبقرينو، كذلك الحال في قصص (سكاكر جدي) القائم على قصة القصة الإطارية التي تشكل سيرة هيثم الذاتية وللمرحلة العمرية ذاتها التي تعكس مرحلة الفتوة، وحكايات أربع هي: الأحدب والأرملة العجوز، الحكماء، الأسد الحكيم، والإشاعة، ولعل الإضافة النوعية الحاصلة في سكاكر جدي والتي تمعن كثيراً في التجريد هي توالي ثلاث حكايات في القصة الإطارية لقصة الحكماء، حين تتناوب ثلاث شخصيات في سرد ثلاث حكايات تشترك كلها في مغزى قصصي

واحد هو تقويم سلوك الانسان من خلال الاتعاض من تجارب الآخرين، هذه الشخصيات هي شخصية صديق الجد (عبقرينو)، وشخصية الضيف، وشخصية الجد، وهذا منحى جديد يسلكه هيثم بهنام بردى في سرده القصصي للفتيان في مسعى منه لضخ أكبر قدر ممكن من الرؤى والأفكار والأحداث التقويمية للسلوك الإنساني.

وقبل أن نختم كلامنا عن هذه المجموعة نعرج على قضية جوهرية في الأدب الموجه إلى هذه الفئة العمرية، هي مدى استيفائها وإخلاصها لهذا النوع السردي الذي تنتمي إليه على الصعيد المغزى والهدف لأن الاختلاف الجوهري بين القصة المكتوبة للكبار والقصة المكتوبة للفتيان يكمن في أن الأخيرة قصة تخضع لمعيار الاعتبارات التربوية والنفسية، فضلاً عن الاعتبارات الأدبية، والاعتبارات الفنية والتكتيكية المتعلقة بنوع الوسيط، لأن مثل هذا التوجه في الكتابة يضمر في طياته فضلاً عن متعة الخيال والتخييل، نوعاً من التربية اللامباشرة، إذ لابد أن تكون القصة على جانب كبير من الفاعلية والتأثير، وهنا نكون بإزاء مسألة حساسة تكمن في كيفية الموازنة بين الجانب التشكيلي للقصة وبين الجانب الثيمي الموضوعي، إذ لا يجب أن تصل الكتابة إلى أهدافها الفنية على حساب الاعتبارات التربوية والنفسية، وهيثم بهنام بردى استطاع على نحو لا يقبل الشك في مراعاة هذا الجانب، فجاءت قصصه ملبية لوظائف التربية الوجدانية والجمالية، فحضرت الوظيفة الأخلاقية إلى جانب الوظيفة اللغوية الانفعالية-

والتشكيل التقاني المنمّي للحس الجمالي، في مسعى من المؤلف لإكساب الفتيان القيم والعادات السلوكية المحمودة إلى جانب المهارات اللغوية والتعبيرية، وتنمية الحس التخييلي، والذاكراتي، مع مراعاة أن أدب الفتيان أدب بناء وتربية وتذوق للجمال، وليس أدب تقويم وإصلاح.

٢٠١٧ /٧ /٣

❖ ناقد وأكاديمي عراقي، مختص بالدراسات النقدية والأدبية الحديثة.

الأحدب والأرملة العجوز

كان هناك، منذ زمن بعيد، قرية هادئة هاجعة على سفح جبل مغطى صيفاً وشتاءً بالثلج، وتطل على نهر مياهه صافية صفاء أخاديد الجبل النازلة منه، بيوتها مشيدة من الحجر الصواني الجبلي الأبيض على نحو تبدو لمن ينظر إليها من الطريق الذي يقطع الغابة المترامية في الوادي تحتها، كأنها قباب قرية أثرية مجدولة من ضفائر الشمس المنعكسة من أعماق أزقتها. وفي طرف القرية الذي ينفتح على الطريق المسيّج بشجيرات الآس الموغل في عمق الغابة، كان هناك كوخ صغير أنيق نوافذه مشرعة للشرق حيث تشرق الشمس، تعيش فيه امرأة أرملة عجوز.....

– مهلاً... مهلاً يا صاح، ما هذا الوصف التقليدي الممل؟.

ورأيت أمامي هيثم بهنام بردى في سنينه الستين، بصلعته البارقة، وعينيه الملونتين المختبئين خلف نظارات طبية سميكة، وجسده البدين، وكرشه الضخم، أجبته بهدوء هيثم المراهق الذي كنته.

– وأين إشارات الملل فيه؟

– إنه أسلوب الجدات والجدود.

– صدقت يا كهل. إنه الأسلوب الذي ينبغي أن تسمع فيه الحكاية في مثل سني الذي يناهز السادسة عشر.

خاطبني باستهزاء.

- الحكواتي...؟

قلت بهدوء وعتب.

- هل القص بأسلوب الحكواتي عيب؟!.

وبعد صمت قلت.

- أنسيت أيها الستيني تلك الليالي الباردة الذي كنا نلوذ به أنا الصبي حينذاك، وأنت الشيخ الذي لا يزال يحفظ تلك الحكايات، عباءة جدنا جرجيس بردى المصنوعة من فرو الحملان، وهو يسرد قصصه بأسلوب الحكواتي، وأني أحاول الآن أن أقتفي أثره بكتابة إحدى قصصه بالطريقة نفسها لأولادي وأحفادي.

لوى الكهل هيثم بوزه وقال.

- ولكنك تجهل شيئاً مهماً؟

سألته.

- ما هو؟

فقال مفلسفاً.

- إن الصبي الذي كنته حينذاك ليس بالصبي الذي يكونه ابنك أو حفيدك.

قلت.

- لم أفهم؟.

مسح جبينه المحّزز بالتغضنات وقال.

– المفاهيم تغيرت، وطريقة الحكي تطورت، وما تكتبه أنت الآن قد يبتعد عنه الفتى القارئ.

صفنت للحظة متفكراً في كلامه، ثم قلت له.

– ولكن الفتى المعاصر يميل إلى الطريقة التي كتبت بها بداية قصتي.

نبر بثقة.

– أنت واهم.

ثم همس لنفسه: (هذا الهيثم بقي أميناً للطريقة القديمة على النقيض مني، فأنا موقن أن الطرق الجديدة الحديثة في الكتابة يحبها الفتى ويقبلها أكثر من الطريقة الكلاسيكية.)

صرخت به.

– هيثم بهنام بردى، أيها الكهل المخرف، إذهب إلى عالمك وقناعاتك، ودعني أُكمل كتابة قصتي.

وحين عاين الغضب في عينيّ هيثم المراهق، مد يده في حركة تهدئة وقال.

– حسناً... حسناً... هدئ من روعك.

وبعد فترة صمت قال.

– أعرض عليك اتفاقاً.

ورغبة مني في إنهاء هذا النقاش قلت.

- ما هو؟

قال وهو ينظر في عينيّ.

- هو أشبه بلعبة، أنت تسرد القصة بأسلوبك، ثم.....

وصمت، هتفت به.

- ثم ماذا؟

أخرج مظروفاً أبيض من جيب سترته الجانبي وناولني إياه.

- بعد أن تنهي قصتك، أرجو أن تقرأ على أولادنا وأحفادنا القصة نفسها كما دونتها أنا.

وقبل أن تصدر عني أية رد فعل، كان الطريق يسّلم جسده الكهل المتعب إلى عمق الغابة ويغيب عن ناظريّ.

عدت إلى أوراقي وفي نيتي أن أكتب بقية القصة وأنا أتأمل مكتبتي العامرة بالكتب ومنضدة كتابة عتيقة، وأخذت أتأمل أرجاء الغرفة لعلّ أحداً منكم - أحبتي الفتيان - يظهر فجأة، كما ظهر قريني هيثم بهنام بردى قبل قليل وأخذ يتفلسف عن الطرق "المعاصرة" في الكتابة تماشياً مع العصر الحديث، ناسياً أن الحكاية الشعبية التي نحكيها ببساطتها تدخل القلب أسرع مما أشار به.... وحين تيقنت أن لا أحد من أصدقائي فتية اليوم، رجال الغد، عارضني... أمسكت القلم وكتبت:

***

كانت الأرملة العجوز تلقم القش اليابس في فم التنور الملتهب، وتورد خداها بفعل سعير النار الخارجة من جوفه وهي ترمق الجبل كمن ينتظر شخصاً ما، ولا تعيد عينيها إلاّ بعد أن تلسع النار كفها، فترفع كمها الى وجهها وتمسح دمعة ألم ساخنة تسربت من عينيها، وهمست بصوت به نبرة بكاء حارقة...

- أين أنت الآن يا فلذة كبدي؟

ثم نظرت نحو الكوخ حيث يجلس حفيداها مع أمهما الشابة، وعيونهم تنظر إليها بانتظار الخبز الحار اللذيذ.

وككل صباح نبع أمامها بحدبته البارزة وملامح وجهه القاسية ولحيته الحمراء وقبعته الارجوانية الغريبة الشكل وقامته القصيرة، تأملها بعمق، ثم جلس على الأرض المعشوشبة يتأمل السماء وحرارة النار المندلعة من فم التنور تضيء وجهه، وكعادتها ككل صباح سألته.

- لماذا لا تتكلم؟

فيبتسم الأحدب ثم يحول نظراته نحو قمة الجبل، وتتوامض عيناه.

- هل انت من الإنس أم من الجن؟

يلتفت إليها بنظرة قصيرة ثم يتأمل مويجات النهر، تسأله بإلحاح.

- تكلم أرجوك؟

يولي وجهه نحو فم الغابة.

– أين تذهب بعد أن تأخذ قرص الرغيف؟

وكأنها ذّكرته بأمر ما نهض على عجل واتجه نحو يمين التنور حيث القفة المنسوجة من أعواد شجرة الرمان التي تحوي رغيفاً واحداً مخصصاً له كحصة يومية، حسب رغبته عندما أعطته أرغفة كثيرة ولكنه أشهر سبابته دلالة على الرقم ثم تناول رغيفاً واحداً فقط، التقطه بعجاله ثم لفه بمنديل أخضر أخرجه من جيب صدارته، ومشى صوب الغابة والأغنية التي يرددها كل صباح تتناهى واضحة الى مسامعها حالما يختفي جسده في الغابة.

الخير والشر...

أو

الشر والخير...

فالشر يلازمك كالظل

يبقى لصيقاً بك.

والخير...

الخير...

الخير... يضيء الدرب أمامك

وتقطف ثماره اليانعة

عاجلاً.... أم آجلاً

ويتلاشى الغناء العذب الذي يخرج من كيان هذا الأحدب الغامض الذي لا يبعث منظره على الارتياح، وتزداد نفوراً منه كل يوم منذ ظهوره، بعد أسبوع تقريباً من غياب ولدها الباحث عن العمل في أرض الله الشاسعة.

***

صباح اليوم الثاني، بعد أن غادر دون أن يتكلم، باستثناء الأغنية التي يرددها والتي تحاول أن تفهم معناها رغم بساطة كلماتها، إلاّ أن فيها من الغموض ما تعجز عن تفسيره. وفي لحظة غضب جارف قررت أن تنفّذ ما كان يراودها من فكرة جنونية بحق هذا الأحدب الغريب الذي ينظر إليها بنظرات أكثر غموضاً من شكله، وتجعلها تغض نظرها أمام سعير نظراته، التي تراها غالباً عدائية تضمر لها الشر.... فكانت الفكرة التي راودتها قبل أيام تجعلها تسارع في تنفيذها صباح اليوم القادم.

***

عاين الأحدب قفة الخبز واختض جسده للحظة قصيرة، إلتقط قرص الخبز بيديه، ومشى بطريقته المميزة وألقاه في جوف التنور وراقبه حتى تفحم تماماً، وقال بحرارة.

- أنا أعرف طيبتك ونقاء سريرتك.

وبعد أن بلع ريقه، همس بعتب شديد.

- لماذا ساورك الشيطان؟!!!.

نشف الدم من وجه الأرملة العجوز لسببين:

الأول: تلك النظرة العاتبة للأحدب المغموسة بتلك الدمعة الصافية المترقرقة من عينيه. واكتشافه لسرها، وما كانت تضمر من شر.

الثاني: كيف تغلبت الفكرة الشريرة عليها وجعلها تقدم على فعلتها. وهي التي تبتهل وتصلّي الى الرب أن يعيد ابنها الغائب منذ شهور بحثاً عن عمل.

فجلست على الأرض تبكي بحرقة وندم، ومن خلال دموعها الكاوية لمحت الأحدب يتجه إلى كومة أقراص الخبز الحارة المفروشة على الأرض ويتناول قرصاً واحداً، يلفه بمنديله الأخضر ويتجه نحو فم الغابة دون أن ينظر إليها، وحين اختفى داخل الغابة تعالى صوته وهو يردد الأغنية التي غطت سماء القرية رويداً رويداً.

***

وقبل أن تغطس الشمس خلف قمم أعلى أشجار الغابة وتسّلم لونها الغسقي البرتقالي إلى عتمة الليل، نهضت الأرملة العجوز ودخلت الكوخ، أوصدت الباب بالمزلاج الخشبي المنقوش، تناولت أعواد الخشب وألقمتها إلى أحشاء المدفأة المطمورة في الحائط الطيني، كان حفيداها نائمين وكنّتها تغزل كنزة صوفية بهدوء وصمت، وبعد فترة قصيرة سمعت

طرقاً خفيفاً على الباب، خفق قلبها بشدة، وهتفت.

- من بالباب؟

- أنا.

رقص قلبها فرحاً، وصرخت.

- يا كبدي!!!.

وفتحت المزلاج لتتهالك على كتف شاب متعب بثياب رثة، .... وصرخة ثقبت ثوب الليل.

- ولدي الحبيب.

***

وتابع ابنها قائلاً.

- وحين أيقنت أنني سأموت من الحر والعطش والجوع، وأنا في قلب الصحراء، جلست فوق كثب رملي أنتظر المصير.... سمعت أغنية تتحدث عن الخير والشر، وبرز أمامي فجأة أحدب غريب الهيئة.

وسمع صوت الأم تغني بصوت رخيم.

الخير... الذي تفعله حتى مع الفراشة

يضيء الدرب أمامك

وتقطف ثماره اليانعة

عاجلاً..... أم آجلاً.

هتف الابن مندهشاً.

- بالضبط يا أماه، هذا ما كان يغنيه الأحدب.

ثم سأل أمه.

- من علّمك الأغنية؟!.

أجابته.

- الدنيا تجارب يا بني.

ثم سألته.

- وبعد ذلك ماذا حدث؟

أجابها الأبن وثمة حيرة في عينيه.

- بعد أن أسقاني ماءً بارداً منعشاً، وأطعمني خبزاً حاراً لذيذاً أخرجه من منديل أخضر، صار يحدثني عن أمور لا يفهمها إلاّ من عرك الدنيا حتى أخذني النوم وغفوت... وعندما صحوت وجدت نفسي أمام الكوخ!!... أما كيف حدث هذا فالعلم عند الغيب. ولكن الذي بقي في بالي وربما سمعته في الحلم أكثر من مائة مرة، جملة سمعتها في رحلتي الغامضة من الصحراء الى البيت تقول... "**أنا أعرف طيبتك ونقائك.... لماذا ساورك الشيطان**".

***

الصباح الأول بعد عودة الابن الضائع، كانت الأرملة العجوز تخرج قرصاً ريانا حاراً دافقاً بالطيبة وتضعه في القفة، وتغني.

الخير والشر

أو

الشر والخير

فالشر يلازمك كالظل

يبقى لصيقاً بك...

وسمعت صوتاً رخيماً تعرفه جيداً يردد بعذوبة.

والخير...

الخير...

الخير...

وغنت معه.

الذي تفعله حتى مع الفراشة

سيضئ الدرب أمامك

وتقطع ثماره اليانعة

عاجلاً... أم آجلاً

***

والآن.....

أحبتي الفتيان....

هل أعجبتكم القصة التي سردها هيثم بهنام بردى بالطريقة التقليدية الحكواتية؟، أم أفتح مظروف هيثم بهنام بردى الستيني الذي يكتب بالطرائق الحديثة المعاصرة، وأقرأ لكم ما دونّه؟.

الحُكَماءْ

نـاداني جـدي، ذات ظهـيرة تموزيـة قائظـة وهـو يقتعـد تختـه المحبب.

- يا ولد.

كتمت غيضي، وهمست بتحدي.

- نادني باسمي.

ابتسم وهو يرى دلائل الغضب المكبوت في عينيّ.

- هيثم.

وقبـل أن تتعمـق الابتسـامة علـى شـفتيّ، وأنـا اسـتلّذ بشـهد النصر عليه، باغتني مكملاً.

- يا ولد.

وقبـل أن أجيبـه، مـد يـده نحـو عكـازه، كعادتـه، حـين يكون منشرحاً.

- تعال هنا.

سألته بمناكدة.

- سأذهب وأجلب لك العصير البارد.... وعلى حسابي.

أمعن في استفزازي وقال بصوت ذي جرس مرح.

- كم أنت سخي.

ثـم همـس لنفسـه بجديـة أتعجـب منهـا وأتسـاءل مـع نفسـي كيف يتحول من حال إلى نقيضه في رمشة عين.

- يا بهنام كم مرة نصحتك إلاَ تفرط في إعطاء أولادك نقوداً أكثر من احتياجهم.

هتفت.

- هو كريم يا جدي.

وإمعاناً في المناكدة.

- ومن صُلْبٍ كريم.

وإلحاحاً في استدراج غضبه.

- أتوقع أن شجرة عائلتنا تمتد إلى عمق التاريخ وترتبط بحاتم الطائي.

طفر الغضب من عينيه، وصرخ.

- يا ولد.... لا تهذر معي.

فخطوت صوبه وأمسكت رأسه وقبلته من جبينه، وهمست.

- إن هي إلاّ مشاكسة.

ابتسم، ولكني في حرارة اعتذاري الصادق لم أقرأ في بؤبؤي عينيه نيّته المبيتة

- حسناً سامحتك يا ولد.

وحالما التفّتُ لَسعَ مؤخرتي ألم ممض هو ثمرة معانقة طرف عكازه لها في ضربة وهبها كل غضبته الدفينة في كونه مادة تندر لصبي مثلي.

ثم قال من خلال ضحكة عميقة.

- أوجعتك؟

تصنّعت اللامبالاة وأجبته.

- قليلاً.

ثم بغتة شَخَصَ ببصره عبر البوابة واتسعت عيناه، فقلت في نفسي.

- إقتنصَ شيئاً ما.

والتفتُ ناظراً صوب المكان الذي أخذ بألبابه، فوجدت في في شجرة التوت العملاقة التي تُعد من بوابات ضيعتنا، حيث تحاذي الطريق الترابي الذي يفضي إلى المدينة التي تبعد بحدود ساعتين ركوباً على الدواب، وساعة على صهوة الحصان، .. رجلاً جالساً سانداً ظهره على جذعها الغليظ، وقد أمال رأسه ويبدو وكأنه في قيلولة، وبجانبه وعلى رمية حجر ثمة بغل مربوط بوتد وقد اثقلته من الجانبين (هكبتان)[1] ممتلئتان، منشغل بأكل جذاذات الخرنوب والشوك، وحالما أعدت نظري صوب جدي، وجدته ينظر صوبي وفي عينيه نظرة معلم يمتحن تلميذه، وحين برقت عيناي وقد فهمت مرامه، هتف بفرح حقيقي.

- هيا إلى عملك.

وتسارعت خطاي نحو فم الطريق الترابي حيث الرجل

والبغل والشجرة....

***

وقبل ان يلتفت اليّ جدي سدت منفذ بوابة دارتنا قامة أبا عقلين وهو بثياب السفر ممتطياً صهوة فرسه الصهباء الرشيقة، وهتف.

- مساكم الله بالخير.

هش جدي بوجهه وقد كساه فرح لا محدود، وهتف به.

- حي الله ابا عقلين، تفضل الغداء جاهز؟

جالت عيناه - وهو على صهوة فرسه- متفرساً في وجه الرجل الجالس قبالة جدي على حصيرة مظفورة من خوص النخيل، ففهم جدي نظرته، فهتف.

- إنه ضيف أفاض به الرب علينا كي نتعرف عليه.

فامتثل أبا عقلين – صديق جدي الأقرب اليه من حبل الوريد- كما يقول أبو أبي، وجلس جنب جدي، بعد أن ناولني (رسن) فرسه كي أربطها جنب بغل الضيف، وجاءته التحية العراقية التي لا مثيل لها في كل بلاد العرب.

- الله بالخير

وبعدها بادر جدي.

- إن صديقنا يعمل جوالاً، يبيع الأقمشة ولوازم الخياطة والتطريز، والأوتاد والمناجل والمساحي وفخاخ الطيور والأرانب،

وكل لوازم البيوت وأدوات الحقول، وقد استضفناه اليوم في دارتنا المتواضعة، ومرحباً به أنى ما شاء في ديارنا، وهو أخ عزيز، بل هو صاحب الدار ونحن الضيوف.

ابتسم الرجل بخجل ودلالات الشكر مرتسمة في وجهه.

- كرمكم وترحيبكم أخجلاني يا أخواني.

أجابه أبو عقلين.

- أنت أخ عزيز.

و... نظر صوبي جدي وهتف بي.

- قل لهم أن يعجّلوا بالزاد.

***

وبعد أن ارتشفوا الكوب الثالث من الشاي، صاح بي جدي.

- أعّد القهوة يا ولد.

وقبل أن ألبي الطلب أشار أبا عقلين لي وهتف.

- أنا أعرف مدى عشقك للحكايات وخاصة القديمة، ولكني سأحكي لك ولجدك ولضيفنا الكريم ما رأيته في "باب الطوب"[٢] صباح اليوم.

وبعد أن بلع ريقه، أشار إلى الفسحة بجانبه وهتف.

- أجلس قبالتي.

صرخ به جدي.

- يا أبا عقلين.

قاطعه الرجل.

- لا تتكلم يا عبقرينو.

وتناهت إلينا ضحكة الضيف وهو يحاول جاهداً كتمها.

- ابو عقلين.

ثم توجه نحوي مستفسراً .

- و..... عب..... ماذا؟

- عبقرينو يا عم؟

زادت حيرته واتجه صوب جدي.

- اسمك جرجيس، بحسب ما أخبرتني به.

أجابه جدي.

- هذان لقبان لنا.

اعتدلت في جلستي وأفردت في كفي مسبحة موهومة وقلت بوقار جدي حين يهم بسرد حكاية من حكاياته، موجهاً كلامي إلى الضيف.

- ان شئت سأحكيها لك.

أمسك جدي عكازته وقد نسي حضور الجوال ثم أفلتها وقال.

- بعد أن نسمع ما حدث لأبي عقلين في "باب الطوب".

عبأ أبو عقلين غليونه، أشعل تبغه من مقداحته الأثرية، نفث منه دخاناً كثيفاً، سرح يستحضر الحادثة وقال:

(كنت منهكاً من تعب الطريق والغبار المتصاعد من الأراضي المحصودة، وحالما وصلت المطعم حتى تهالكت على أحد التخوت، وجلست أرتاح من رحلة الساعات الثلاث، هي زمن المسافة بين "الموصل"[٣] وضيعتنا، جاءني العامل، طلبت الكباب الذي يشتهر به المطعم، وبعد ان ارتشفت الشاي "السنكين"[٤]، رحت أتطلع الى السوق الذي تتوسطه ساحة تتراصف على حافاتها دكاكين العطارين والبزازّين والنجارين والحدادين وتجار الفراوي والعباءات والأدوات الزراعية.... الخ، والمقهى الذي انتقلت للجلوس عليه بعد الافطار كان مزدحماً بالجالسين، وشمس الصباح تتسلل من الخيم والحصائر التي تسقف السوق، حين تناهى إلينا صراخ من الدكان الواسع الكبير الذي يقابل المقهى، هتف الذي يجاورني.

- ماذا سنرى هذا الصباح يا ترى...؟

أجابه جليسه.

- جيل فاسد.

هتف آخر من الزاوية القصية من المقهى.

- وسعّ ثروته ولم يربِّ ابنه.

قال آخر.

- هي ليست التربية فقط، بل ذات الانسان.

هتف أحد الجالسين في زاوية المقهى.

- الذات الفاسدة تتربى بقسوة التربية.

أيده ثانٍ.

- صدقت يا عم، لو وجد من يقوّم خطأه منذ الصغر فسيكون الغصن غير معوج.

أردف ثالث.

- يونس كان همّه فقط اقتناء النقود، ولم يعر اي هم لتربية أولاده.

فقال آخر.

- وما نسمعه الآن من صياح وسباب حصاد هذا الزرع.

وما أن اتم الرجل كلامة حتى رأينا منظراً يشيب له رأس الولدان.... فقد خرج شاب وقد وقع عقاله وتهدل يشماغه على كتفيه وهو.... يسحل رجلاً شائباً من ساقيه نحو منتصف الزقاق وهو يشتمه بأقذر السباب، ثم القاه في مجرى الماء الآسن وركض صوب المنضدة وسحب المجر وعبّ جيبه من النقود.. وقبل ان يستوى أمسكه رجلان من كتفيه وأطبقاه على الحائط وأشبعاه ضرباً، وهم يصرخون.

- من أية طينة أنت يا حقير.

فيتابعه الآخر.

- جيل فاسق.

ويستطرد ثالث.

- أنه والدك يا رجل.... هل يعقل أن يفعل ولد بأبيه ما فعلت بوالدك الآن.

وتكاثرت العقالات والأحزمة الجلدية وهي تهبط على هامة الشاب حتى تهالك على الكرسي من جراء الألم، وبقي الرجلان ممسكين به، وتناوب آخرون بإنهاض الأب وهو على هيئة لا تسر أحداً فقد كان في حالة يرثى لها من اثار "الماء الثقيل الآسن" الذي غطى صايته ويشماغه ووجهه.

وفجأة انبثق من عمق المقهى شيخ وقور بلحية محناة، ومشى متكئاً نحو الزقاق وحاذى الأب... نظر إليه نظرة احتقار، ثم واصل المشي وهتف بالرجال الماسكين بالشاب، وصرخ بغضب.

- كفاكم ضرباً.

ثم استدار نحو الأب وقال بلهجة ازداء.

- إنه يستحق ما حصل له.

هاج بعض الرجال.

- ما حصل يا شيخنا لن يحصل قط، ولد عاق يبهدل والده.

أجاب الشيخ وعيناه ملتصقتان بعيني الأب.

- حصل ما هو أبشع من هذا.

ساد صمت مطبق لدقيقة قطعه الشيخ وهو يوجه كلامه

نحو الأب.

- أليس كذلك؟

طأطأ الأب رأسه حتى كاد يلامس الأرض.

- الدنيا تدور.

ثم اتجه نحو الأب المصطول.

- اللّه يمهل ولا يهمل.

تمادى الصمت وكأن على رأس القوم الطير، ثم قال الشيخ الوقور.

- هذا الرجل فعل بأبيه، بفعل أكثر بشاعة ما فعل به ولده.

وبعد أن تماسك كطود على الأرض.

- هذا الرجل وقف نفس وقفة ابنه مع والده، ولكن ما فعله ليس السحل.

وبعد وقفة قصيرة شدّ على مخارج الحروف.

- بل بصق على وجه والده في مشهد يطابق تماماً ما حصل له.

ومشى الشيخ صوب فم السوق من ناحية المشرق، وحين غمرته الشمس توهجت قامته، ثم.... اختفى.).

و..... صحونا، وقد أخذت طريقة قص الرجل بألبابنا، فقال جدي.

- للرب حكمته.

وأردف الجوال.

- يقيس لأفعالنا بالمقياس نفسه.

وقال جدي.

- الرب لا يخفي الرزايا، بل يكيلها لمن اقترفها في قوادم عمره، بالمقياس نفسه. وأكثر.

كنت في حالة نشوة كبيرة، وأنا أسمع هذه الحِكم من رجال عاركوا السنين ونهلوا من دروس الحياة ما جعلهم ينطقون بالحكمة، وسألت أبا عقلين.

- من كان ذلك الشيخ..؟

فقال على الفور.

- لم يعرفه أحد من الجالسين.

واسترسل الجوال الكهل.

- لله في خلقه شجون.

نظر اليه جدي بعمق، وسأله.

- وكأني بك تريد أن تحكي حكاية؟

ابتسم الجوال ونبر.

- تستقرئ الدواخل يا رجل...؟!.

فقال له أبو عقلين.

- هاتِ ما لديك.

نظر الجوال صوبي، وقال.

- قد يكون لهيثم رأياً آخر.

تقرفصت، وهتفت.

- كلي آذان صاغية.

نفث دخان الغليون من منخريه، وحلّق على شكل دوائر أمام وجهه، ثم جاءنا صوته.

(يحكي أن أحد شيوخ القبائل خرج للصيد، كانت الفلاة مليئة بالغزلان والأرانب، وقد أصاب ورفاقه الفرسان الكثير من الفرائس، بيد أن أرنباً أبيض تبدى أمامه مثل غيمة ربابية فاتنة، فقرر ملاحقته واصطياده على قيد الحياة، واعتمد في ذلك على سرعة حصانه فلاحقه والشمس ترتفع لتعلن عن ضحى صيف مبكر، ولم يحس بانسلاخه عن صحبه، وبعد ملاحقة طويلة اختفى الأرنب فجأة، كما ظهر فجأة، فوقف مذهولاً يتفرس في الأرجاء، فوجد أنه في محيط حدوده رمال تلاحق رمالاً، والشمس تكاد تلتهم كبد السماء، فأيقن أنه تاه في رمال لا أول لها ولا آخر.....

وبعد يومين، وهو يسحل خطاه والحزن يعصر قلبه حزناً على حصانه الذي نفق عطشاً رغم أنه قاسمه الماء الذي بحوزته، والتعب قد أخذ من منالـه، والعطش والجوع يعصران أحشاءه وقد أيقن أن الموت صار قاب قوسين أو أدنى منه، وفي

غمرة تذكره لأهله وقومه رأى خيمة تتراقص أمام ناظريه، وصوت نباح كلب ليس ببعيد، أيقن إن لم يكن هذا من أوهام سراب الصحراء، فإن الله له حكمته في بقائه على قيد الحياة، ففرك عينيه ليتأكد من أن ما يراه ليس خداع الصحراء، وعندما أيقن أن ما يراه حقيقة شحن القوة في خطاه ووجهته الخيم الكثيرة التي تبدت أمامه.....

وأمام الخيمة الفاخرة التي تعج بالرجال يتوسط مجلسهم شيخ القوم ويتحلّق حوله الرجال وهم يتسربلون بالثياب الفاخر ويعتمرون بلبوس الرأس التي تميز سادة البدو، وقف بثيابه المجلودة بعرق الصحراء والمزركشة بالرمل الأسود، وبدا في هيئته وهو حاسر الرأس، مثل لصوص الصحارى، أو مشرديها، أو رعاع قطعانها، فألقى تحية حاول شحنها بكل ما أوتي صوته من جرس يعلن عن علو الكعب، وانتظر أن يردوا عليه، فقط من رد عليه هو القهوجي وراعٍ يسلخ ذبيحة، فجلس في طرف المضافة دون أن يدعوه أحد من سادة القوم، ولم يرحب به أحد سوى القهوجي الذي – بفريسته البدوية - ، عرف أن الرجل تائه، فجاءه بالماء الذي سرعان ما فرغ، فأسر القهوجي.

- على رسلك يا رجل... اشرب بتمهل. ستتخم مثل الغنم إن بقيت على هذا الحال من شرب الماء.

وانتظر ان يلتفت اليه أحد، أو أن يكلمه أحد، ولكن هذا لم يحث قط، وحين حضر الغداء وامتلأت المضافة ب (المناسف)[٥] لم يدعوه أحد للغداء، ... فقال له الراعي.

- لا بأس يا رجل، ستتغدى معنا.

نخسه في صدره ألم يفوق الألم الذي عاناه في توهانه في الصحراء، وبعد أن ارتوى وشبع سأل القهوجي عن قومه، فقال له انهم ليسوا ببعيدين، ووصف له الطريق، وحين غربت الشمس كان الرجل على صهوة فرس أعطاها لها القهوجي بعد أن أعطاه وعداً بانه سيزورهم قريباً ويعيد له فرسه.

وبعد أسبوع انتشر خبر في (عرب) القهوجي أن شيخ عشيرة (...)، قد وصل مضاربهم وأنه على حدود المضافة الرئيسة، فأخبر شيخه الذي هبّ هو وأشراف العشيرة، ليجدوا أمامهم ثلة من الفرسان المهابين يتقدمهم الشيخ على فرس بيضاء، هي فرس القهوجي الذي حالما عمّق النظر فيه وهو بملابسه المهيوبة، وعباءته المقصبة بخيوط الابريز والذهب والحرير عرف فيه ذلك التائه الذي قاسمه الغداء قبل اسبوع، هرع الشيخ مرحباً بالشيخ العالي المقام والمهيوب من العربان لشجاعته ونبله وكرمه، وكان شيخ المضارب في غاية الفرح وهو غير مصدق، فأمر بأن تنحر النحائر وتقام الولائم في كل مضارب القبيلة إحتفاء بالشيخ الجليل ذي المقام الرفيع، وبعد

أن حضر الغداء وجيء بالمناسف، واجتمعت وجوه القوم للغداء، ووضع أحد المناسف المميزة بخروفه الكامل المحشي أمام الشيخ الزائر صحبة شيخ المضارب، لملم الشيخ الضيف عباءته وطمسها في المنسف وهتف بصوت به من المرارة ما لا تستطيع كل سكريات وحلويات الكون من كسر طعمه المر.

- أًكلي يا لعباءة/ (كلي أيتها العباءة)

ففغر شيخ القبيله فاه من التصرف الغريب الذي قام به الضيف، فهتف.

- ما هذا...؟

فنهض الشيخ ومعه قومه، واتجه نحو القهوجي وسلّم عليه، وقال له.

- فرسك عادت ومعها شيء بسيط تستحق أغلى منه، أرجوك أن تقبله هدية متواضعة.

ثم عانقه شاكراً وسط ذهول سادة قومه....

واستدار نحو القوم وخاطب الشيخ.

- تستطيع ان تسأل هذا الرجل عن سبب تصرفي الغريب.

وامتطى مع رجاله صهوات أفراسهم، وتلقفهم الأفق.....)

كان التأثر بادياً على وجهي السامعين الكهلين، والجوال ينظر اليهما بالتتابع، ثم حول نظره إليّ، وخاطبني قائلاً.

- فهمت من خلال جلستنا أن الصديقين الجليلين يواظبان

على قص الحكايات لك، وأغلبها فيما أعتقد تحمل مغزى ودرساً وحكمة، وهنا أسألك أن تشرح لي ما فهمته من هذه الحكاية.

اعتدلت في جلستي كما يفعل الكبار ووضعت سبابة كفي اليمنى على حنكي، وحدقت إلى البعيد، ولكن هتاف جدي.

- لا تتحامق يا ولد... احترم الجالسين.

وانتفضت كالملدوغ وأنا اتجنب عكازه التي لم يرفعها، ولكن تهيأ لي أنه حاول ان يضربني بها، وهتفت.

- إنني لا أستخف... أقسم يا جدي.

من خلال ابتسامة مشرقة خاطب الجوال جدي العتيد.

- هوّن عليك صديقي.... انه بحق صادق في قوله.

ثم اتجه نحوي، وقال.

- تكلم يا حكيم.

فقلت.

- المغزى ان الرجال ليسوا بملابسهم بل بجوهرهم، فلهذا كان ما فعله الشيخ حين غمس عباءته الغالية الثمن في الطعام وقال عبارته البليغة درساً ليس لذلك الشيخ فقط، بل لكل انسان.

هتف الجوال وقد تملكه الفرح.

- صدقت يا حكيم.

فوجهت نظري صوب جدي، ولمحت طيف ابتسامة على شفتيه، وكأنه يقول لي: "انا فخور بك يا ولد".

وقال له أبو عقلين.

- وكأني بك يا صديقنا تحاول أن تمدحنا لأننا قمنا بالواجب تجاهك.

أجاب بصوت صادق.

- ليس هذا قصدي صدقني، ولكني حاولت أن أحكي حكاية تحتوي على درس وحكمة.

فأردف جدي قائلاً.

- انها حقاً درس بليغ وليست حكاية.

ثم التفت إلى وغمز قائلاً.

- لست غبياً كما كنت أظن.

وبدأت ألعب مع جدي، فقلت بلهجة مؤدبة جداً.

- خير خلف لخير سلف.

انتفض كالملدوغ وصرخ غاضباً.

- ولد...؟!!!

قلت له بحرارة ومحبة.

- صدقني أنا لم أقصد إساءة.

ابتسم الجوال وقال.

- طريقة كلامكما جميلة.

صرخ جدي.

- إنه قليل الأدب.

قال الضيف بصدق.

- إنه لمّاح...

ومع نفسه، سمعتها أنا فقط.

- وسيصير شيئاً في المستقبل.

من خلال سروري بما قال الضيف، سألت جدي.

- كلاهما سرد حكمة جميلة.

سألني متوجساً.

- ماذا تقصد؟

أجبته وأنا أنظر إلى عينيه.

- لا يمكن أن تجعلها تمر دون بصمة منك.

وأكد أبو عقلين.

- يريد منك حكاية.

همست مؤيداً.

- صدقت يا عم.

هتف جدي وعيناه تدوران في محجريهما بحثاً عن حكاية.

- يا ولد، هل وجدتني حكواتياً أقتعد صدر التخت في مقهى عتيق.

هتفت وقد ايقنت إنه اقتنص احدى الحكايات من صندوق جمجمته.

- الحكواتية تلاميذ لك.

ولزيادة المرح على الجلسة، وأنا أهيء نفسي للقفز إذا بدرت منه أية حركة.

- لو عصرناك مثل الاسفنجة لسالت الحكايات منك وجعلت دجلة يفيض.

ماج الفخر في عينيه وقال من خلال ابتسامة عريضة.

- من أين لك هذه التشبيهات؟.

فأشرت إلى رأسه وهمست بمحبة حقيقية.

- من هذا الرأس.

وانفجر الشيوخ الثلاثة في ضحكة وُلدت من دواخلهم... مغسولة بالرجولة، وبعد حين قال جدي موجهاً سؤاله إلى أبي عقلين.

- أتذكر حكايات الخواجة بشير؟.

همس الرجل بمحبة كبيرة.

- الله يرحم معلمنا الغالي.... كيف لا أذكرها.

التفت اليّ جدي وقال.

- سأسرد لكم إحدى حكاياته.

واعتدل في جلسته، لف سبحته الكهرب على إبهامه

المصفر بفعل التبغ، ثم أسقط طرفها في الهواء وتمرجحت بنصف دائرة ثم تلقفتها راحة يده، ... وشرد في البعيد، وجاء صوته مثل ريح تعوّل في سماء ملبدة بالغيوم.

(نظر إليه السلطان الظالم، الذي يهاب غضبته الخاصة والعامة، وصرخ به.

- كيف تتحدى فرماني أيها الوزير العجوز المخرف.

إرتعدت فرائص الوزير الكهل الوقور، الذي يشهد الناس في المملكة بأسرها بأمانته وهدوءه وحكمته.

- حاشا أن اتحداك يا مولاي، ولكني أناقشك في أمر يخص الوزارة الخاصة بي.

ازداد صياح السلطان وخرج الزبد من شدقيه وهو يصرخ.

- وتحاججني أيها الصغير.

والتفت في فورة غضبه نحو رئيس الجند.

- يُلقى للكلاب.

تماسك الوزير، وقال في نبرة هادئة استغربها وهو في هذا الوضع المريع، وفي مخيلته العقاب الضاري الذي بانتظاره.

- أنا قانع بحكمك مولاي السلطان، ولكن لي رجاء واحد.

سأله السلطان وقد بدأت موجة الغضب تغادره.

- ما هو...؟

- أن تؤجل اعدامي لمدة عشرة أيام، ريثما أنجز بعض شؤوني.

هدأت ثورة السلطان تماماً، ثم قال.

- لك ذلك.

وبعد برهة صمت أشهر سبابته بوجه الوزير المنكود المحبوب، وهدده قائلاً.

- لا تفكر بالفرار.

- مولاي، صباح اليوم العاشر سأكون على أهبة الاستعداد لملاقاة مصيري.

***

واختفى الوزير المخلص طوال الفترة، وفي فجر اليوم العاشر، طلب السماح بالدخول على السلطان فأذن له، مشى رافع الرأس متماسكاً في خطاه، حتى وصل أمام كرسي العرش، صوّب عينيه على عينيّ السلطان، أحس الأخير بقوة نظرات الوزير، ولأول مرة في حياته أخفض عينيه، وقبل أن يعاود رفعهما سمع الصوت الواثق للوزير.

- أنا جاهز للعقوبة مولاي السلطان.

ساد صمت عميق أرجاء قاعة العرش، والعيون تحدق بعطف نحو الوزير الكهل المحبوب العادل، فنهض السلطان فقام الجميع، وهتف.

- احضروه إلى ساحة القصاص.

ثم قال للقائد.

- هل الكلاب جائعة؟.

- نعم يا مولاي.

فهمس لنفسه بضيق.

- أرجو أن يفترسوه بسرعة.

قال الوزير.

- سيحصل يا مولاي.

وقدحت عيناه بوميض غريب، ....

وحين أطلّ السلطان في المقصورة عجّ المدرج الغاص بالعامة بالهتاف، والنبيه يكتشف دون عناء بأنهم مجبرون على ذلك خوفاً من جنون السلطان والكلاب التي لا حد لشراستها والجوع يشعل أحشاءها للطعام، ويكون الضحية هو المطلوب، ... وبعد أن ساد الصمت أُدخلت الكلاب الجائعة في الساحة فأخذت تدور كالمجانين وتقفز محاولة اجتياز الأسيجة الحديدية، وبعد أن هدأت فُتح باب جانبي ودُفع الوزير المنكود... فساد الصمت وتقطعت الأنفاس وتهيئت العيون لمشاهدة أبشع منظر دموي، هجوم الكلاب المسعورة نحو الضحية وإلتهامها بدقائق.... وحالما رأت الكلاب ضحيتها هجمت عليه و.....)

وانهمك جدي في سعال متواصل، فاحمر وجهه وجحظت عيناه وبرزت عروق رقبته، فكاد يختنق، فهرعتُ نحو قدح الماء وناولته، كرعه دفعة واحدة، ثم انتظمت أنفاسه وعاد إلى طبيعته، فقال له الجوال.

- ألف لا بأس عليك.

أجابه بصوت متقطع.

- عافاك الله يا أخي.

فقلت وكأني قائد عسكري.

- قطعتها في الذروة.

صرخ بوجهي.

- يا ولد... كدت أموت... من الأهم: الحكاية أم جدك؟.

وقبل أن ألح في المشاكسة، خاطبه أبو عقلين.

- وكأنك الخواجا بعينه، ولكنه كان يتميز بشيء لم تفعله أنت.

فسأله جدي.

- ما هو..؟

- أَتَذْكُرُ كيف كان الخواجا بشير يمثل الأحداث بوجهه وجسمه، بيديه وقدميه.

قال جدي مؤيداً.

- كان ممثلاً بارعاً، يُدخل الحكاية إلى أدمغتنا بيسر

ومتعة كبيرين.

فقال أبو عقلين بنبرة حزينة صادقة.

- رحمه الله.

توسلت بجدي.

- لقد أوصلتنا الى الجزء المثير من الحكاية، ثم ماذا حدث؟.

غاب جدي عنا ودخل في أجواء الحكاية من جديد، فخرج صوته عميقاً:

(هجمت الكلاب الجائعة على الوزير الكهل و.... تهالكت تحت قدميه تلحس حذاءه وثيابه وهي تتحلق بفرح طاغٍ حول جسده، المفاجأة جعلت السلطان وحاشيته والعامة ينهضون جميعاً وهم غير مصدقين لما يرونه أمامهم.... بدلاً من أن يتحول الوزير إلى اشلاء صار سيّداً للكلاب، ماذا يحدث..؟؟؟!!!، فغادر السلطان المدرج ومعه حاشيته وخرجت الناس وهي مغتبطة بما حصل أمامها لأن الوزير كان محبوباً من الشعب....

***

عندما استوى السلطان في القاعة هتف.

- آتوني بالوزير.

وحين مثل أمامه، نهض السلطان ونزل درجات العرش

المفروشة بالسجاد الأرجواني الفاخر، دار حول الوزير دورتين، ثم قال بصوت عالٍ.

- فسّر لنا ما حدث.

نظر الوزير إلى السلطان بثبات ثم حول عينيه نحو الأعيان الواقفين، وسأل السلطان.

- منذ متى وأنا وزيرك يا مولاي؟.

أجابه السلطان بترفع.

- منذ ثلاثين عاماً.

وسأله الوزير من جديد وبثقة.

- وخلال هذه الاعوام هل بدر مني ما يسيء إلى المملكة.

أجابه السلطان وقد استحوذ عليه الحرج.

- كلا.

ثم استدرك قائلاً.

- باستثناء خطأك الأخير.

فقال الوزير بحزن.

- وحكمت عليّ بالموت مثل القتلة والسفاحين والمجرمين.

أجابه السلطان بثقة.

- أنت أعرف الناس بطبعي.

وسأله الوزير.

- والآن تريد أن تعرف لماذا لم تفترسني الكلاب الجائعة.

قال السلطان.

- بالضبط.

نظر الوزير في القاعة التي يلفها الصمت وقال بصوت يسمعه الجميع.

- يا مولاي أنا خدمتك ثلاثين عاماً بإخلاص قلّ نظيرة، وكنت خير خادم للعرش، وأتممت ما هو مطلوب مني من مهام وأكثر، وبخطأ عفوي وغير مقصود ولم يكلف خزينة المملكة قيراطاً واحداً حكمت عليّ بأشنع ميتة.

صرخ به السلطان وهو يحس في داخله أن الرجل يحاكمه.

- نريد تفسير ما حدث... لماذا لم تفترسك الكلاب؟

نظر إلى حزمة الشمس الساقطة على بلاط القاعة من كوّة في سقفها الشاهق وقال:

[بعد خروجي من القصر عقب أن حكمت علي بالموت ذهبت إلى حارس الكلاب وسألته.

- هل الكلاب جائعة؟

أجابني.

- بل أن بطونها ممتلئة من فرائس أمس.

فقلت له.

- أطلب منك طلباً أتمنى أن توافقني عليه.

- طلبك أمر يا وزير يا طيب.

- أريد أن أعيش مع الكلاب لمدة عشرة أيام.
- سمو الوزير....!!!.
- أرجو أن لا تخذلني.
- لك ما تشاء.

بان السرور على وجه الوزير ثم استدرك قائلاً.

- ولي طلب آخر.
- تفضل.
- أن يكون الأمر سراً بيننا.
- أجل.

وأمضيتُ خمسة أيام أُطعم فيها الكلاب وأُحمّمها وألاعبها... وفي المساء أعود إلى داري، حتى تعودتْ عليَ فصارت صباح كل يوم تنتظرني بشوق ونمضي النهار كله... وفي اليوم السادس غادرتها، وقلت للحارس.

- لا تعطها أي طعام من اليوم فصاعداً.

وغادرته وسط دهشته.....]

فالتقط الوزير أنفاسه، وهمس.

وجاءت خمسة أيام، هذه الأيام من الحرمان تجعلها تلتهم حتى الهواء فكيف بالضحايا المنكودة، وهنا نظر في عيني السلطان وقال بنبرة فيها من الحكمة قلبها وجوهرها.

- يا مولاي خدمتك بإخلاصٍ وتفانٍ ثلاثين عاماً، وهذه

الأعوام من العمل المتفاني لم تشفع لي إزاء خطأ تافه.

والتقط أنفاسه الدافقة.

- وتلك الكلاب خدمتها ستة أيام، ورغم جوعها الشديد إلاّ أنها منحتني من الوفاء والجميل ما لم يستطع ولن يستطع أحداً منكم أن يمنحني إياها).

وتفرس جدي في وجوهنا فقلت له.

- ماذا حدث للوزير بعد ذلك؟

قال ابو عقلين.

- تستطيع أنت أن تضع النهاية للحكاية.

وفجأة... هتف الجوال.

- لقد سرقتنا وسرقت الشمس الحكايات الجميلة.

قال أبو عقلين وهو ينظر إلى الظلال الطويلة للجدران الطينية.

- إنه الرمق الأخير من العصر، وبداية المغيب.

نهض الجوال وقال.

- حان وقت رحيلي.

قال جدي بصيغة يختلط فيها الرجاء بالأمر.

- مبيتك عندنا، وغداً صباحاً تتكل على واهب الأرزاق.

قال الرجل..

- ولكن.

- بلا لكن... سيداهمك الليل في الفلاة.... ستبقى عندي.

ثم قال لي.

- قم بواجب الضيافة يا ولد.

الأسد الحكيم

انـتفض جسـد جـدي ونهـض مـن تختـه الخشـبي، وأشـار بعكـازه نحـو السـاحة المترامية المنفتحـة مـن خـلال بوابـة دارة جدي العريضة، وهتف..

- إمنعهما...

سألت مستفهماً.

- من...؟

فاتسعت حدقته وتناثر رذاذ لعابه على لحيته وهو يصرخ.

- لا تفعل...

ونظرت إلى المكان الذي ينظر اليه، كان صديقاي اللذان لا يتصالحان قط يمسك أحدهما بزيق دشداشة الآخر، كانا لوحـدهما في السـاحة الفسـيحة المترامية المعشبة أمـام دارتنـا والمسيجة بأشجار العفص والذي اتخذت الزاوية البعيدة القريبة من سياج بيت قريبنا كزريبة للبقرة المدللة الشقراء العملاقة، فنكزني بنهاية عكازه وهدر صوته.

- امنعه.

قلت بنفس نبرة التساؤل السابقة.

- أمنع من يا جدي....؟!!.

- صاحب الدشداشة المقلمة.

نبرت.

- أمنع كليهما من الشجار.

قال بتوكيد.

- افعل ما تشاء... ولكن بسرعة.

سألته مناكداً.

- ولماذا صاحب الدشداشة المقلمة تحديداً.؟

صرخ بي وقد نفذ صبره.

- لأنه يبصق بوجه الآخر.

- مسألة طبيعية يا جدي... في الشجار ممكن أن يحصل أي شيء.

هدأ قليلاً، وسها أقل من القليل، ثم خرج صوته.

- إلاّ الكرامة.

- أية كرامة..؟

همس كأنه يحدث نفسه.

- تبادل الضرب شيء عادي... ولكن البصاق...؟!!.

واصلت مناكدتي وتقمصت سمة الغباء.

- البصاق من وسائل المشاجرة.

هتف راعداً.

- لا

- ولم لا..؟

- هدر الكرامة جرح مفتوح لن يندمل قط.

ثم وكأنه كشف لعبتي باغتني بضربة موجعة من عكازة على ربلة ساقي وساط صوته الجهير.

- إذهب إليهما وصالحهما ، ثم آتني بهما.

أمعنت في مناكدته وقلت.

- سأصالحهما ، ولكني لن آتي بهما..

قال بلهجة ملاينة.

- بل ستفعل..

وبعد أن ابتسم ابتسامة ماكرة همس.

- أنت ولد عاقل ومطيع.

قدمت له فنجان القهوة ، أرتشفها بدفعة واحدة ، وهمس.

- تصلح أن تكون قهوجياً في التعازي إن أخفقت في المدرسة.

وقال مستطرداً.

- يبدو أنهما في هدنة الآن.

وخطفت نظرة إليهما ، كانا ينفضان الغبار عن دشداشتيهما ويقتعدان العشب.

- آتي لي بهما..

قلت مؤكداً.

- لن يعودا للشجار من جديد.

- ليكن، أريدهما، ... لي كلام معهما.

هللت بفرح.

- كلام معزّز بحكاية..؟

بانت أسنانه المتهالكة وهو ينبر بفرح.

- ولد نبيه.... أجل سأقص عليكم أنتم الثلاثة حكاية.

وتلقفني المجاز والبوابة المشرعة وصرت أقداماً متسارعة نحو صديقيّ.

***

اصطففنا أمام تخته كتلاميذ ينظرون إلى السارية بانتظار رفع العلم، كان صديقاي مطأطئي الرأسين كمن أمسكا متلبسين بمعصية، ابتسم بوجهيهما وخاطبهما.

- افترشا الأرض.

بقيا على حالهما منكسي الرأسين، فهش جدي بوجهيهما وخاطبهما بود وعطف ومحبة.

- افعلا يا أحبتي.

إمتثلا لطلبه وجلسا على العشب، نظر صوبي ثم قال.

- اسقهما ماءً.

فأسرعت، خوفاً من غضبته الفجائية، وحرماني من حكاية زاخرة بالحكمة، إلى الحب المركون جنب السياج المشيد من اللبن والصلصال المشبع بالتبن، وغمرت الطاسة المذهبة في لجة الماء البارد وجلبتهما لهما وأنا أرسم طرقاً دائرياً من الماء المتقطر من حوافها، وبعد أن ارتويا وهدأ سعار روحيهما نظرا صوب جدي الذي لم يتأخر في القول بصيغة سؤال.

– هل تعتقدان ان العراك يحل الخلافات؟

أجبته أنا.

– أحياناً تكون آخر الحلول.

اتجه صوبهما وسأل.

– أتؤيدانه.

صمتا، فاستطرد.

– آخر الحلول....؟؟

وبعد صمت قال.

– وقبلها... ثمة حلول عديدة.. ماذا تقولان؟

وازاء الصمت المزّنر بالخجل الذي لفهما، قال جدي.

– والأكثر سوءاً من التضارب بالأيدي والركل بالسيقان، أن يعمد أحدكما إلى البصاق بوجه الآخر.... هذا لا يجوز مطلقاً.

قلت له، وقد ايقنت أن ثمة حكاية محورها (البصقة)،

تلوح في ذاكرة جدي الولودة بالحكايات.

- البصاق ضمن أسلحة المشاجرة.

قاطعني حرداً.

- لا.... إلاّ البصاق.

همس صاحب الدشداشة البيضاء.

- أنا لم أفعل.

قال صاحب الدشداشة المقلمة.

- أنا فعلت.

قال جدي.

- رأيت هذا.

همست وأنا ربان زورق يطرطش مجذافي صفحة يم ذاكرته.

- وما الضير إن بصق أحدهما بوجه الآخر.

نظر إلى وجهي بإعجاب ممزوج بالفخر، وقال من خلال ضحكة مشرقة.

- لديك وسائلك الخاصة باستدراجي.

قال صاحب الدشداشة المقلمة.

- قص لنا الحكاية كي أتعظ.

فاتسعت عينا جدي دهشة، قاطعتها نبرة صاحب الدشداشة

البيضاء وهو يشير صوبي.

- هو قال لنا... إن كففتما عن الشجار سيقص علينا جدي..

ولم يدعه صاحب الدشداشة المقلمة يكمل... واستطرد.

- ليقص لنا حكاية عن الكرامة.

وأكمل الآخر.

- ونحن نحب حكاياتك كثيراً.

فأوضحت.

- وبذلك الوعد أنهيت الملحمة.

بانت اسنانه المنخورة بفعل التبغ، وهمس مع ضحكة قصيرة نابعة من أعماقه النقية.

- جيل رضع مع التيس.

ولم نستطع أن نكمم أفواهنا فانطلقت كركراتنا بريئة براءة خصلة شعر رضيع صبوح المحيا وهي تتهادى على جبينه الغض الرائب، فهمس جدي.

- إليكم الحكاية.

وطارت سجيته إلى عوالم السحر والجمال والحكمة.

***

بعد الظهيرة نخرج إلى الغابة التي تحيط بقريتنا الصغيرة، بدشاديشنا المقلمة ونحن ننتعل خفافاً بالية ممزقة، وفي ظل

حائط ماكنة ضخ الماء المشرفة على الفرات يكون التمامنا، وبعد فترة قصيرة يلتم شملنا إلاّ من عامر الذي نراه وهو يحاول أن يركض فيصير لقفزته بفعل شلل الأطفال الذي لازمه منذ الطفولة صورة شبيهة لعصفور يتقافز، فنحاول أن نجعل الأمر طبيعياً، لكوننا في عمر يغادر الابتدائية إلى المتوسطة باستثناء عادل ورؤوف اللذين يضحكان عليه دوماً ويقابلهما عامر بابتسامة حزينة، وكنا نوبخهما بشدة في غيابه فيتعهدان بأن يكفا عن ذلك، ولكنهما سرعان ما ينسيان التعهد، وهذا ما فعلاه فضجا بضحك سافر انتقل صداه إلى عامر الذي توقف وشملنا بنظرة عتب وحزن، واستدار عائداً إلى القرية فركضت صوبه وأمسكته من كفه وواجهته.... كان يبكي بصمت وحرقة، فربت على كتفه وهمست بمحبة صادقة:

- لا تحزن يا عامر، كلنا نحبك.

مسح دموعه وأجاب:

- لم أعد أحتمل.

همست مشجعاً:

- ولكن عهدي بك قوياً يا صديقي.

قال بنبرة فاجعة:

- لا ذنب لي بما أنا عليه.

قلت بمحبة:

- أنها مشيئة الله.

عاد إليه تماسكه وقال بثقة:

- الحمد لله.

رفع ذراعه وطوق عنقي، وقادني بخطاه الواثقة نحو الجمع وهو ينظر إلى عادل ورؤوف بنظرة رجل، وحين وقف قبالتهما خاطبهما بصوت ودود:

- أنا أحبكما.

وسمعنا جميعاً نبرة موسيقية حالمة:

- صدقت يا عامر!!!

ومن خلف أقدم الشجر، النخلة الهرمة، رأينا صبياً يماثل أعمارنا يتقدم نحونا بثوب لونه أزرق فاتح، يتحزم مئزراً أبيض، وجهه ساحر بعينين عسليتين جميلتين، وهو يدوس التراب الندي بثقة، وحين بلغ مكاننا هتف:

- عمتم ظهيرة.

ضحكنا في سرنا وكتمنا صوته، وانتبه هو إلى ذلك وسألنا:

- هل قلت شيئاً خطأً؟!.

بادره أحدنا:

- نحن لا نحيي بعضنا هكذا.

وعلق آخر:

- إنها جديدة، ولكنها ظريفة.

والتفت إلى الذي يجاوره وخاطبه:

- عمت ظهيرة يا ذا الأنف الناقط.

خاطبه الآخر وسط الضحك الصاخب:

- عمت ظهيرة يا ذا الأذنين الأرنبيتين.

هتفت بهما:

- كفاكما... احترما الضيف.

ثم وجهت التحية له قائلاً:

- مرحباً بك يا صديق.

ابتسم بوجهي وقال:

- مرحبا بكم أصدقائي.

ومشى صوب رؤوف وعادل وخاطبهما بود:

- تبدوان، يا صديقيّ، بصحة جيدة جداً.

نظرا لبعضهما بحيرة، ثم أعادا نظرهما إليه ورأياه يتجه نحو عامر ويقول:

- لماذا أرى الحزن في عينيك؟

ثم نظره إلى ساق عامر وقال وهو يشير إليها:

- بالتأكيد ليس بسببها؟!

والتفت إلى الاثنين الذاهلين وقال بصوت غاضب:

- بل بسببهما....

هتفت بإعجاب:

- صدقت يا صديق.

فخاطبنا جميعاً بصوت آمر:

- أجلسوا حولي.

فعلنا ذلك مرغمين بفعل سحر غامض، كانت عيناه تبرقان، همس:

- أنظروا إلى عينيّ بعمق.

فأبصرنا غابة ساحرة، فيها الشجر والورد والعشب ونسيم الصباح، وعلى طريق ترابي تحيط به الأزهار يمشي رجل كبير السن يتوكأ على عكاز وهو يدندن بأغنية، وفجأة قطع عليه طريقة أسد، وحين وصل إليه توقف ، فقال له الأسد:

- **مرحباً أيها الصديق.**

فبصق على الأسد الذي أحنى رأسه واختفى بين الشجر.....

وصحونا على صوت الصبي وهو يسأل:

- هل ترون تصرف الشيخ حكيماً؟

أجبته على الفور:

- إنه تهور.

وافقني أغلب الأصدقاء، فنظر الصبي إلى رؤوف وسأله:

- وأنت..... ما رأيك؟.

لم يجبه ، فنظر الصبي إلى عادل وسأله:

- أما كان بمقدور الأسد افتراس الشيخ المتهور؟

أجاب عادل بثقة:

- بالطبع.

سأله الصبي:

- لماذا لم يفعل؟

وقبل أن يجيب قال الصبي بصوت عميق.

وبعد عام.....

وأبصرنا الغابة للمرة الثانية، كانت جرداء، فلا ورق على الشجر، ولا زهر على حافة الطريق ولا عشب يكحّل وجه التراب، والشيخ يمشي على الطريق يغني بصوت عالٍ، وفجأة وجد أسداً يسد عليه الطريق وهو يحمل بقادمه الأمامي فأساً، وحين واجهه الشيخ، سأله الأسد:

- أتذكرني؟

أجاب الشيخ:

- كلا.

ناوله الأسد الفأس وقال له:

- أضربني على رأسي.

ففعل الشيخ ذلك على الفور، سال دم غزير من رأسه، تناول الأسد الجريح الفأس من الشيخ وقال:

- شكراً.

واختفى بين الشجر....

وصحونا على صوت الصبي وهو يسأل عامر:

- أعتقد انك تعرف الإجابة على سلوك الأسد؟.

سالت دمعة نقية مثل الندى من عيني عامر... فقال الصبي.

وبعد عام.....

وأبصرنا الغابة وهي تحت أنفاس ربيع جديد والشيخ يمضي إلى المدينة وهو يغني:

يا أوروك يا أجمل المدن

أنت عروس الأرض

وقبل أن يكمل رأى أسداً يقطع عليه الطريق، فصرخ به الشيخ:

- أغرب عن وجهي أيها الحيوان البائس، لقد أفسدت على بهجتي. تنح عن الطريق، وإلاّ....

قاطعه الأسد:

- ستبصق بوجهي... أليس كذلك؟

سأله الشيخ ببلاهة:

- كيف عرفت؟

أجابه الأسد:

- ألا تذكر بأنك يا صديقي بصقت بوجه أسد قبل

عامين؟

قال الشيخ مغتراً بنفسه:

- طبعاً، وفي نفس هذا الموضع.

وهمس الأسد بحزن وألم:

- وأنك في العام الفائت ضربت رأس أسد بفأس؟

ازداد زهو الشيخ وقال:

- وفي هذا المكان نفسه، أذكر أيضاً.

مد الأسد رأسه أمام الشيخ وقال:

- أنظر وتلمّس رأسي، هل ترى وتجد أثراً لجرح؟

أجاب الشيخ بعد أن نظر وفتّش:

- لا... لا يوجد.

طفرت دمعة من عين الأسد، وقال وهو يبتعد:

- إعلم أيها الشيخ المغرور الأرعن أن الجرح شفي، ولكن البصقة لن تزول آثارها من روحي طوال حياتي.

وهنا.....

وقف الصبي مواجهاً عادل ورؤوف وهمس:

- هل وصل إليكما مغزي الحكاية؟

منحني ابتسامة صداقة، ومشى صوب عامر ووقف قبالته وهمس بود حقيقي:

- طابت ظهيرتك.

مشى صوب النخلة العجوز وسط ذهولنا ، واختفى.....

***

وبعد أن أنتهى جدي، كرر سؤال صبي الحكاية، ووجهه إلى صديقيّ المتخاصمين.

- هل وصل إليكما مغزي الحكاية؟

الإشاعة

ذات صباح علا صياح في البيت فخرجنا جميعاً فعرفنا أن الصياح آتٍ من السرداب، وهناك وجدنا زوجة عمي تضرب عماد الذي كان يصرخ من الألم وهي تقول.

– لو حلفت ألف مرة أنت الفاعل. أنت الذي دحرجت إناء الحليب.

وهو يحاول تجنب ضربات زوجة عمه قال عماد.

- أنا لم أفعل ذلك.

وعادت تضربه وهي تؤكد.

- لم يكن في السرداب غيرك؟

وهنا سألتها أم عماد.

- هل رأيته يفعل ذلك؟

أجابت بغضب.

- لا.

وهنا ارتفع صوت الجد الواقف أمام باب حجرته.

- تعالوا جميعاً.

خرج الرجال أيضاً إلى فناء البيت وهم يتطلعون إلى الكل، فخاطبهم أيضاً.

- وانتم أيضاً.

وبعد أن اجتمع الجميع في غرفته، جلس على دكته

الخشبية ووضع العكاز على ساقه الأيسر، وشملنا بنظرة عميقة ثم تسمرت عيناه على المرأة وخاطبها.

- هل رأيته وهو يقلب إناء الحليب؟.

أجابت المرأة.

- لا.

سألها الجد.

- كيف عرفت أنه هو. هل أخبرتك البقرة بذلك؟

انزعجت المرأة وقالت.

- كيف يخبرني الحيوان!، أنا توقعت ذلك؟

فقال الجد بهدوء.

- قد تكون نعجة أو دجاجة.

أجابته المرأة.

- يجوز.

فقال الجد بحكمة.

- لا تكوني مثل تلك العجوز الشمطاء التي....

وصمت، فقال أبي وهو يبتسم.

- حدثنا عنها يا أبتي.

فقال.

- قد يفهم الكبار فقط الحكاية.

فهتفت.

- وقد يفهمها الصغار.

ابتسم عن فم نصف أسنانه مقلوع.

- عفاريت.

وأمام إلحاح الرجال والنساء ونحن الأحفاد استجاب وسرحت عيناه إلى البعيد وقال:

(كان يا ما كان في قديم الزمان... كان هناك جارتان، الأولى عجوز محبة للمشاكل لسانها سليط يتجنبها الناس، والثانية امرأة شابة طيبة لها ولد واحد صغير ورجل ذهب ذات صيف بحثاً عن رزقه ولم يعد، وقيل أنه مات لأن المجنون فقط يفكر بأنه ترك زوجته لأنه كان يحبها كثيراً، وفي يوم ما انتشر خبر سيء عن الشابة لا يعرف مصدره مفاده: "إنها عديمة الشرف"

هذا الخبر لا يعرف مصدره، ولكنه انتشر في القرية مثلما تنتشر النار في كومة قش، فصار الرجال ينظرون إليها باحتقار وأطالت النسوة الطائشات الثرثارات ألسنتهن، فحزنت المرأة وتألمت كثيراً لضياع سمعتها التي تقارن بنقاوة قطرة الندى فأغلقت باب بيتها ولم تعد تخرج منه إلاّ لشيء مهم.

وفي يوم ما بعد أشهر مرضت العجوز وأحست بأن نهايتها قريبة فذهبت إلى حكيم القرية وقالت له.

- لقد اقترفت سيدي الحكيم جرماً يعذبني كثيراً.

ابتسم الحكيم بوجهها وهمس.

- هذا حسن.

استغربت العجوز وقالت بحدة.

- حسن أن أهين جاري؟!.

وكمن لم يفاجئه الخبر قال الحكيم.

- أخبريني.

فأخبرته بأنها هي مصدر الإشاعة بخصوص المرأة الشابة، وأن كل ما قالته كذب وافتراء بحق هذه المخلوقة الشريفة. هل سيغفر الله "جلّ جلاله" لي.

قال الحكيم.

- إن الله رحيم يا أم.

انفرجت أسارير العجوز وقالت.

- وماذا بشأن المرأة؟

قال الحكيم.

- ألديك ديك في البيت؟

أجابت.

- أجل.

أمرها الحكيم.

- ارجعي إلى بيتك وامسكي الديك، وكلما مررت بزقاق انتفي منه ما شئت من الريش وإلقيه في الهواء، وأريد الديك

عندما تصلين عندي عرياناً بلا ريش.

نهضت وقالت.

- حسن.

وبعد ساعة من الزمان دخلت العجوز وهي تحمل ديكاً بلا ريش وقالت.

- قد فعلت ما أشرت به؟

قال الحكيم.

- إني أرى، ، ، ... والآن عليك أن تجمعي كل الريش وتعيديه إلى جسم الديك؟

صرخت العجوز.

- هذا مستحيل يا حكيم؟!!.

فأطلق الحكيم حكمته.

- ما أسهل نتف الريش والسمعة، وما أصعب إعادة الريش والسمعة.

أدركت العجوز معنى الحكمة فخرجت وهي تسمع كلمات الحكيم.

- إن الرب غفور رحيم.)

وحين انتهى جدنا من حكايته وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، ابتسم عندما رأى المرأة تحمل عماد وتقبله من جبينه وهي تهمس: قد تكون النعجة أو الدجاجة من سكبت الحليب.

وتضمه إلى صدرها.

السيرة الذاتية:

هيثم بهنام بردى

الأسم الكامل: هيثم بهنان جرجيس بردى

- ولد في العراق/ عام ١٩٥٣.
- عضو اتحاد الأدباء العراقيين.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- رئيس تحرير مجلة (إنانا) التي تعنى بشأن المرأة.

حضر وشارك في مهرجانات وملتقيات عديدة أبرزها:

- الندوة العربية الأولى للقصة الشابة التي أقامتها مجلة الطليعة الأدبية في بغداد عام ١٩٨٠.
- ملتقى القصة العراقية في بغداد عام ١٩٩٥.
- ندوة الرواية العربية في بغداد عام ٢٠٠٢.
- الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
- الملتقى الرابع للقصة العراقية (ملتقى د. علي جواد الطاهر) في بغداد ٢٠٠٨.
- مهرجان الجواهري عام ٢٠١٠ وعام ٢٠١٢.
- مؤتمر ثقافة الأطفال الدولي الأول في بغداد عام ٢٠١٠.
- معرض إيطاليا الدولي للكتاب في إيطاليا (مدينة تورينو) عام ٢٠١٤، ألقى فيها محاضرة في "القاعة الزرقاء" عن الأدب السردي العراقي الحديث.
- مؤتمر الرواية العراقية – دورة الروائي غائب طعمة فرمان، المنعقد في

بغداد عام ٢٠١٦.

أصدر ثمانية وعشرين كتاباً موزعاً على:

الرواية:

١. مار بهنام وأخته سارة/ مركز أكد للطباعة والإعلان – أربيل ٢٠٠٧.

٢. قديسو حدياب/ مركز أكد للطباعة والإعلان – أربيل ٢٠٠٨.

– صدرت باللغة السريانية عن دار منارة في أربيل عام ٢٠١١ ترجمة: كوركيس نباتي.

٣. أحفاد أورشنابي/ دار ثقافة للطباعة والنشر والتوزيع- ابوظبي، بيروت ٢٠١٥.

الرواية القصيرة:

١. الغرفة ٢١٣/ مطبعة أسعد – بغداد١٩٨٧.

٢. الأجساد وظلالها/ دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق ٢٠١٧.

٣. الطيف/ دار الجواهري للطباعة والنشر والتوزيع - من اصدارات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ٢٠١٧.

القصة القصيرة:

١. الوصية/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة – بغداد ٢٠٠٢.

٢. تليباثي/ دار نعمان للثقافة– بيروت ٢٠٠٨.

- صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠.

- صدرت طبعتها الثالثة عن دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق عام ٢٠١٥.

٣. نهر ذو لحية بيضاء/ دار رند للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ٢٠١١.

٤.أرض من عسل/ دار الحوار للنشر والتوزيع– اللاذقية، سوريا ٢٠١٢.

٥. الطوفان/ دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٥.

القصة القصيرة جداً:

١. حب مع وقف التنفيذ/ مطبعة شفيق– بغداد ١٩٨٩.

٢. الليلة الثانية بعد الألف/ منشورات مجلة نون – الموصل ١٩٩٥.

٣. عزلة انكيدو/ مطبعة نينوى – بغداد ٢٠٠٠.

٤. التماهي/ دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة – بغداد ٢٠٠٨.

٥. القصة القصيرة جداً/ الأعمال القصصية ١٩٨٩–٢٠٠٨ / دار رند للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١١.

أدب الطفل:

١. الحكيمة والصياد/ مسرحية للفتيان- مطبعة بيريفان– أربيل ٢٠٠٧.

٢. مع الجاحظ على بساط الريح/ سيرة قصصية للفتيان– دار رند للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١٠.

٣. العشبة/ مسرحية للفتيان- مطبعة الديار– الموصل ٢٠١٣.

٤. قناديل جدي/ مجموعة قصصية للفتيان- دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٧.

نقد:

١. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم– المديرية العامة لتربية نينوى– الموصل ٢٠١٠.

- صدرت طبعتها الثانية "مزيدة ومنقحة" عن دار الشؤون الثقافية عام ٢٠١٥.

٢. القصة القصيرة جداً- الريادة العراقية/ دار غيداء للطباعة والنشر والتوزيع- عمّان ٢٠١٦

الإعداد والتقديم:

– سركون بولص عنقاء الشعر العراقي الحديث/ إعداد وتقديم– إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية- أربيل ٢٠١١ .

الكتابة المفتوحة:

– الذي رأى الأعماق كلها/ كتاب انثيالات – مطبعة ميديا – أربيل

.٢٠٠٧

سلسلة مبدعون عراقيون سريان:

١. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية/ إعداد وتقديم – إصدار المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية – أربيل ٢٠٠٩.

– صدرت طبعتها الثانية عن دار تموز للطباعة والنشر – دمشق ٢٠١٢.

– صدرت ترجمتها إلى اللغة الكوردية من قبل أحمد محمد إسماعيل وصدرت عن المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية عام ٢٠١٢.

٢. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية القصيرة جداً/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ٢٠١٢.

٣. روائيون عراقيون سريان في مسيرة الرواية العراقية/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق ٢٠١٢.

٤. كتّاب أدب طفل عراقيون سريان في مسيرة أدب الطفل العراقي/ مطبعة شفيق– بغدا

كتب صدرت عن أدبه:

- **في الرواية:**

– دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى/ محمود ناصر نجم/ مطبعة الدباغ- أربيل ٢٠١٦.

- **في القصة القصيرة:**

١. تجليات الفضاء السردي– قراءة في سرديات هيثم بهنام بردى/ إعداد وتقديم: أ. د محمد صابر عبيد/ دار تموز للطبعة والنشر والتوزيع– دمشق٢٠١٢.

٢. شباط ما زال بعيداً، دراسات نقدية في المجموعة القصصية أرض من عسل لهيثم بهنام بردى/ إعداد وتقديم: جوزيف حنا يشوع/ مطبعة الديار–

الموصل ٢٠١٣.

٣. الكون القصصي، تجليات السرد وآليات التمظهر، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ محمد إبراهيم الجميلي/ مطبعة الديار– الموصل ٢٠١٣.

٤. المهيمنات القرائية وفاعلية التشكيل السردي في مجموعة نهر ذو لحية بيضاء/ إعداد وتقديم ومشاركة: الدكتور خليل شكري هياس/ دار نينوى للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٤.

٥. جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة، قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ د. نبهان حسون السعدون/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق ٢٠١٤.

- **في القصة القصيرة جداً:**

١. حبة الخردل/ دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم خالص ايشوع بربر/ منشورات اتحاد الأدباء السريان– الموصل ٢٠٠٥. صدرت طبعته الثانية عن دار رند للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا عام ٢٠١٠.

٢. شعرية المكان في القصة القصيرة جداً– قراءة تحليلية في المجموعات القصصية لهيثم بهنام بردى/ د. نبهان حسون السعدون/ دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع– دمشق٢٠١٢.

٣. الثريا، دراسات نقدية عن تجربة القاص هيثم بهنام بردى في كتابة القصة القصيرة جداً/ إعداد وتقديم: خالص ايشوع بربر/ مطبعة شفيق- بغداد ٢٠١٤.

- **في الحوار:**

– أسماء في ذاكرة المدينة - هيثم بهنام بردى/ حوار: نمرود قاشا، تقديم: معد الجبوري/ مطبعة شفيق- بغداد ٢٠١٣.

كتب عن تجربته الابداعية الكثير من النقاد نذكر منهم: د. عمر

الطالب، د. محمد صابر عبيد، ناجح المعموري، جاسم عاصي، ياسين النصير، د. خليل شكري هياس، د. ناديه هناوي سعدون، د. سمير الخليل، د. فاضل عبود التميمي، د. سوسن البياتي، د. قيس كاظم الجنابي، د. ثائر العذاري، د. جميل حمداوي (المغرب)، د. محمد أبو خضير، د. جاسم خلف الياس، د. علي صليبي المرسومي، د. إيمان محمد العبيدي، د. فاتنة محمد حسين، سليمان البكري، يوسف الحيدري، صباح الأنباري، عبدالستار البيضاني، أنور عبدالعزيز، محمد عطية محمود (مصر)، د. فرح أدور حنا، د. نبهان حسون السعدون، حميد حسن جعفر، زهير بهنام بردى، شاكر مجيد سيفو، د. جاسم الخالدي، د. موسى الحوري، نازك الأعرجي، محمد يونس محمد، جمال نوري، حمدي مخلف الحديثي، جوزيف حنا يشوع، ازدهار سلمان، د. مثنى كاظم صادق، د. ايمان عبدالحسين، د. كريم ناجي، هناء عبدالهادي (مصر)، شاكر الأنباري، اسماعيل ابراهيم عبد، علوان السلمان، زهير الجبوري، سعدون جبار البيضاني، د. بشار عليوي، بولص آدم، خالص ايشوع، د. سالم نجم عبدالله، د. فيصل النعيمي، د. محمد يونس صالح، د. محمد ابراهيم الجميلي، د. فيصل القصيري، سمير اسماعيل، محمود ناصر نجم، ناظم السعود، نمرود قاشا، جبو بهنام، نواف خلف السنجاري، وعد الله ايليا، محمد الأحمد، نزار حنا الديراني، عباس خلف، سامر إلياس سعيد، علي محمد الحلي، حسن السلمان، أحمد محمد الموسوي...

دراسات أكاديمية عن أدبه:

- حاز الأستاذ محمد إبراهيم الجميلي على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً" من كلية التربية الأساسية / جامعة الموصل بتأريخ ٢٠١٣/٣/٣ عن رسالته الموسومة (السرد في قصص هيثم بهنام بردى القصيرة).

- حازت الأستاذة نادية نزهة سليمان على شهادة الماجستير بدرجة "امتياز" من كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت، بتاريخ ١٧/ ٢/ ٢٠١٤ عن رسالتها

الموسومة: (جماليات القصة القصيرة جداً/ هيثم بهنام بردى مثالاً).

– حاز الأستاذ همام حازم عطا على شهادة الماجستير بدرجة "جيد جداً عالي" من كلية الآداب/ جامعة تكريت، بتاريخ ٢٠١٥/١/١١ عن رسالته الموسومة (العتبات النصية في سرد هيثم بهنام بردى القصصي).

– حاز الأستاذ محمود ناصر نجم على شهادة الماستر بدرجة "إمتياز – بدرجة ٩٠٪" من كلية الآداب والعلوم الإنسانية- دائرة اللغة العربية وآدابها/ جامعة (بلمند اللبنانية)، بتاريخ ٢٠١٦/١/٢٠عن رسالته الموسومة (المكان ودلالاته في روايات هيثم بهنام بردى).

الجوائز:

– حائز على جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.

– حائز على الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدي".

– حائز على الجائزة الثانية في مسابقة وزارة الثقافة لمسابقة أدب الأطفال/ دار ثقافة الأطفال/ جائزة (عزي الوهاب للنص المسرحي) عام ٢٠١٠ عن مسرحيته الموسومة (العشبة).

– حائز على الجائزة الثانية في مسابقة القصة القصيرة التي أقامها قصر الثقافة والفنون في محافظة صلاح الدين عام ٢٠١١ عن قصته الموسومة (الرسالة).

ورد اسمه:

– في كتاب (موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين– الجزء الثالث– صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطبعي.

– في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين – صفحة ٦٠٠) الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة الموصل – مركز

دراسات الموصل– عام ٢٠٠٧ ، لمؤلفة الأستاذ الدكتور عمر الطالب.

الترجمة:

– ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية والإيطالية والسريانية.